النقد الثقافي والماركسية

د/ محمد بلعزوقي

جامعة البليدة2

الملخص:

أتحدث في هذه الورقات عن نوع خاص من الممارسات التحليلية للنصوص الأدبية في علاقة تواشجية بين الأدب ومختلف الأنشطة الإنسانية؛ إذ أصبح للدراسات الثقافية الخاصة بالأدب مشروعية وفاعلية، أثمرت بلورة بعض الاتجاهات النقدية الثقافية؛ أهمها النقد الثقافي والتاريخانية الجديدة، النقد الثقافي والزنوجة، والنقد الثقافي والمادية الثقافية...الخ، نتطرق إلى توجه منها هو النقد الثقافي والماركسية، لنحدد المقولات المتعلقة بالنقد الثقافي ذي الاتجاه الماركسي.

الكلمات المفتاحية: النقد، الثقافي، الماركسية.

Abstract :

We speak in these some pages of a particular type of the analytical practices of the literary texts, in a harmonious relation between letters and different human activities. Certainly, cultural studies having a relation with literature became efficient, and which constructed common certain critics and cultural, among them cultural criticism and historicité news, cultural criticism and negritude, cultural material criticism, We are going to approach cultural criticism and Marxism to define quotations so having a relation with Marxist cultural criticism.

Keywords: cultural studies , cultural criticism ,Marxism;.

*** *** ***

يهتم النقد الثقافي بشتى أنواع الخطاب الإنساني، وكأنه جاء ليسد حاجة الإنسانية اليوم في ظل هذا التطور التكنولوجي الرهيب، فيستطيع دراسة كيفيات التعامل الثقافي مع هذه المعطيات الجديدة ومن ثمة" فالنص حسب الدراسات الثقافية ما هو إلا

المنارة للاستشارات

وسيلة وأداة ومادة خام، يستخدم لاستكشاف أنماط معينة، مثل الأنظمة السردية والإشكاليات الأيدولوجية، وأنساق التمثيل، وكل ما يمكن تجريده من النص."[1]

نُسب هذا التوجه من "النقد الثقافي" إلى ما عُرف من مشروع "ماركس" الفلسفي، الذي لا يزال يجذب النقاد إليه، على الرغم مما أصاب الماركسية من تحوير وتشويه لآرائها ومواقفها وفلسفتها الاقتصادية والسياسية، نظرا لِما حدث في المعسكر الشيوعي (الاتحاد السوفياتي) من تقهقر وانتكاس، ويمكن القول إن الماركسية هي المهاد الأول لأغلب أفكار النقد الثقافي؛ فقد طرح ماركس أفكارا هامة عن الثقافة والمجتمع، لتوجيه فكر الناس إلى مناقضة المعتقدات النظرية التي كانت سائدة في عصره، على شكل مسلمات، غير أن النقد الثقافي الماركسي لم يكن أحادي الجانب" لأنّ ثمة عددا من المدارس المختلفة لنقاد الماركسية، يعتمد نقدهم جميعا، على تفسيرات متنوعة وأحيانا متصارعة لنظريات الماركسية، وعلى كيفية تطبيقها في تحليل الثقافة ـ بشكل عام ـ وعلى النصوص الأدبية ـ على نحو اكثر تحديدا ـ وأعمال ثقافة النخبة والثقافة الشعبية ووسائل الإعلام الجماهيرية."[2] ككلّ متكامل في اتساع وشمولية.

قد جرت عدة حوارات ومناقشات بين النقاد السوفياتيين قبل سقوط الشيوعية حول كيفية تطبيق النظريات الماركسية على الثقافة، فانقسموا فريقين، فريق ماركسي متشدد رأى أن النجاعة الجمالية تكمن في" نظرية الوقائع الاجتماعية" ويهاجمون كل فنان لم يتمثل لهذا المنهج الواقعي، الذي هو في حقيقة الأمر مزيج ممسوخ من نظرية المحاكاة والنظرية البرغماتية، أما الفريق الثاني ويظم الماركسيين الليبراليين، فقد كانوا أكثر انفتاحا على العمل التجريبي، وقد اهتموا بأعمال الفنانين والكتاب أمثال "بيكاسو" و"فراتز كافكا"، و"جيمس جويس".[3]

استثمر النقد الثقافي عدة مفاهيم ومصطلحات من الفلسفة الماركسية فنقلنا ما رأيناه أهمها في النقاط التالية:[4]

المنارة للاستشارات

1 ـ البنية التحتية/ البنية الفوقية: base structure / super structure

يعني مفهوم "البنية التحتية" في الفكر الماركسي نظام العلاقات الاقتصادية في مجتمع ما، بينما يعني مفهوم "البنية الفوقية" النظام الثقافي، متجسدا في مؤسسات المجتمع كالكنيسة، والتعليم، والفن والقانون... وقد أولى فريدريك إنجلز **Friedrich Engels** (شريك ماركس في عديد الأعمال الفكرية الاجتماعية) أهمية بالغة للاعتبارات الاقتصادية فيقول:" إن البنية الاقتصادية للمجتمع هي التي تقيم الأسس الحقيقية، التي يكون بها في مقدورنا أن نصل إلى التفسير النهائي للبنية الفوقية، في كلّيتها المؤلفة من السلطة التشريعية والسياسية، وأيضا الأفكار الفلسفية والدينية، وغيرها من الأفكار، لفترة تاريخية معينة."[5] لكن لكي تكون هذه "البنية التحتية" بنية سليمة قوية بدون أخطاء، وبشكل حضاري راق، يجب أن تكون هناك "بنية فوقية" مؤسسة على كل ما هو مثالي، ومدني وتُبعد كل ما هو متطرف وفاسد، صحيح" إن المؤسسات الاقتصادية والبنية التحتية هي أمر أساس، ومن الضروري أن تؤخذ بعين الاعتبار، ولكنها ليست بكافية لتفسير منهج تطور المؤسسات في المجتمع، وكيف تؤثر على الجماعات والأفراد."[6] فالبنية التحتية أساس، وأساسها البنية الفوقية.

قد ركز أعضاء مدرسة فرانكفورت للنقد من أمثال "هوركهايمر" و"أدورنو" و"ماركيوز" اهتمامهم على مشاكل البنية الفوقية، فقد وجدوا أن وسائل الإعلام قد أفسدت على الجماهير عقولهم، باستدراجهم إلى ثقافة الاستهلاك، وإلى المُتع السطحية المبتذلة، التي تقدمها الثقافة الشعبية، وقامت وسائل الإعلام هذه بغسل عقولهم من كل شيء يدعو إلى الاهتمام بالهوية أو إلى الثورة ضد الطبقة الحاكمة، وسياستها القمعية أو حتى ضرورة التغيير الاقتصادي، فهذا الثبات والإبقاء على النظام الاقتصادي الراهن، هو ما يخدم الطبقات الحاكمة، في المجتمع الرأس مالي، ومن هنا يؤكد أدورنو" أن الجماهير لم تفقد القدرة على أن يروا الواقع كما هو فحسب، بل إنهم قد فقدوا القدرة على الإحساس بالخبرة الحياتية، حيث تعرضوا إلى قدر كبير من التنميط، ولمناخ تشاهد فيه الجريمة بحس بليد، كتحصيل حاصل."[7]

الإمارة للاستشارات

2 ـ البرجوازية:the bourgeoisie

الطبقة البرجوازية أو البرجوازيون هم ـ حسب ماركس ـ أعضاء المجتمع الذين تتجمع في أيديهم الثروة، ولهم حق الملكية والسيطرة، وهم في تعارض دائم مع الطبقة الكادحة، التي لا تملك إلا القليل ويسميهم ـ البوليتاريا ـ يتحكم البرجوازيون في ممتلكاتهم (البوليتاريا) وحتى في أفكارهم، فأفكار الطبقة الحاكمة هي الأفكار المسيطرة، وينتج عن هذه السيطرة تحكم في وسائل الإعلام الجماهيرية، وتسخيرها لخدمة الطبقة الحاكمة، وتبث من خلالها توجهها الفكري والسياسي، وتدعم من خلالها آراءها، حتى في القصص والمسلسلات فإن البرجوازية تمرر أيديولوجيتها عبر أبطال وشخصيات هذه القصص، في أسلوب تنكّري مقنّع، عن طريق البطولة الفردية التي يبني فيها الأبطال أنفسهم بأنفسهم، وكذلك نشر ثقافة الاستهلاك، وثقافة بقاء السيطرة الاقتصادية، بيد هذه الطبقة المالكة، "وترى الماركسية أن الكتاب الذين ينتجون نصوصا تدعم قيم البطولة البرجوازية، قد لا يفعلون هذا عن وعي، فهم في مجتمع برجوازي تشربوا فيه ـ بلا وعي ـ قيم البرجوازية ومن ثم فمن المتوقع أن بطلات وأبطال رواياتهم تعكس هذه القيم."[8] وعلى الرغم من وجود أعمال أدبية تهاجم البرجوازية والرأسمالية إلا أن تأثيرها غير فعال، بل قد يخدم البرجوازية أكثر مما يضرها، ذلك لأنها تدعي الانفتاح وقبول التحدي، وهذا التحدي سيدعم هذا الادعاء، خاصة بعد تفشي الرأسمالية وإثبات نجاعتها في دول عظمى كأمريكا.

3 ـ الطبقة: class

مفهوم" الطبقة" هو أحد المفاهيم الأساسية في النظرية الماركسية، وحتى في نظريات علم الاجتماع، وهنا يتم وضع النص في سياقه السياسي من جهة، وفي سياق القارئ من جهة أخرى، فيتحرك الناقد من منطلقات ماركسية تركّز على العلاقة بين الطبقات، وعلى الصراع الطبقي كمؤشرات لتحديد الواقع الثقافي، فمصطلح "الطبقة" يُطلق على" جماعة لها سمة واحدة على الأقل مشتركة، كما أن المصطلح يستخدم ـ على نحو شائع ـ في النقد الثقافي، فالطبقة تشير إلى المقولات المعتمدة على المصادر الاقتصادية للمجموعات المختلفة من الناس في مجتمع بعينه، وإلى التنظيمات الثقافية والاجتماعية التي تنبثق من هذا التقسيم."[9] ومن هنا نجد أن لتقسيمات الطبقة الاقتصادية آثار ثقافية، فكل طبقة تنزع

نحو مستويات تعليمية محددة، ومناصب معينة وأساليب حياة، وعادات وأعراف متشابهة تختلف عن طبقة اقتصادية أخرى، فمثلا يُقسَّم المجتمع الأمريكي إلى ست طبقات اقتصادية، هي: الأرستقراطية العليا، الأرستقراطية الدنيا، الوسطى العليا، الوسطى الدنيا، الدنيا العليا، الدنيا الدنيا، لكل طبقة مستوى معيشي، ومستوى تعليمي خاص، وأسلوب تأثيث المنزل، وتدريب الأطفال.... الخ.

4 ـ **الاغتراب:** Alienation

الاغتراب مفهوم أساسٌ ـ بدوره ـ من المفاهيم الماركسية، وينتج "الاغتراب" حسب ماركس في المجتمع تحت تأثير الرأسمالية، فمالكو الثروة مغتربون عن الفقراء، وينأون بأنفسهم عن مخالطتهم، رغم أن الثروة التي يمتلكونها، هي من كد وتعب هؤلاء الفقراء، (البروليتاريا)، ويشعر الفقراء بحالة من الاغتراب عن عملهم، الذي ليس لهم منه إلا النزر اليسير، بينما تتمتع به الطبقة الحاكمة التي لا تعمل، ويحسون بالاغتراب حتى عن أنفسهم، فقد أصبحت أنفسهم مجرد آلات عمل أو مجرد سلع.

يقوم النقد الثقافي برصد هذا" الاغتراب" وما ينجرّ عنه من آثار تجعل المجتمع متفككا ليس فقط إلى طبقات؛ وإنما حتى داخل الطبقة الواحدة، وحتى في الفرد نفسه، الذي يعاني من الوطأة نفسيا وجسديا، وقد تولّد عن مفهوم "الاغتراب"، مفهوم مهم وهو" **الآخر**" المخالف في الطبقة، العرق، الجنس،" فالآخر" الذي يقف قبالة" الأنا" من أكثر المفاهيم حضورا في النقد الثقافي وفي المركزيات.

5 ـ **الاستجواب (الاستنطاق): Interpellation**

الاستجواب يعني المساءلة، وكأن كل أيديولوجية تُسائل أو تستدعى كل فرد لمحاسبته كما يحدث في البرلمان عند استجواب الوزراء وهذا هو المجال الذي استعير منه هذا المفهوم، وقد استعاره الفيلسوف الفرنسي "ألتوسير" "Althusser"، فيصبح الاستجواب "العملية التي بها توجد التمثيلات في الثقافة(في وسائل الاعلام مثل التلفزيون، والسينما، والمجلات، وفي أشكال الفن مثل الإعلانات والبرامج، التجارية) وهي ـ إن جاز التعبير ـ تحمل الأفراد على قبول الأيديولوجية المحمولة بواسطة صنع التمثّلات تلك."[10]

المنارة للاستشارات

فهنا تحاول إيديولوجيا ما أن تثبت رؤيتها عبر، وسيلة ما(تلفزيون، رواية، جريدة...) من وسائل الخطاب، فإنّ الخطاب يكون" نداء" فإن أثمر وجاء بنتيجة وحقق المرام أصبح استجوابا.

6 ـ الأيديولوجية: Ideology

هي أفكار شاملة ومنظّمة، في المجال الاجتماعي والسياسي، تقوم بتفسير ما يحدث للناس، " وارتبطت الأيديولوجية بالأدب منذ بداياته المبكّرة دون أن يكون الأديب على وعي متبلور أو إدراك متعمد بهدف توظيفها في مضمونه الفكري، إذ اقتصر طموحه على تقديم وجهة نظر قد تكون مباشرة أو منظمة في السرد أو الوصف أو الحوار أو المنظور الفكري بصفة عامة، لكن كان هناك على الأقل دافع أدّى به إلى الإبداع الأدبي، سواء كان دافعا واعيا أم غير ذلك."[11] ومن هنا يكون هدف النقد الثقافي الماركسي هو تحليل وتفسير مختلف الإيديولوجيات والأفكار والقيم التي تسيطر على سيرورة الحياة الاجتماعية وكشف الانماط الضمنية غير المنظورة، فاللاوعي يعتّم الحالة ويغطي الحقيقة؛ فلا تتغير الحال، وهذا ما يخدم الطبقة الحاكمة، و" الأدب هو أكثر صيغ المقاربة التجريبية للأيديولوجيا كشفا(عن الأيديولوجيا) في الأدب، أكثر من أي حقل آخر، نلاحظ بشكل متميز ومعقد ومترابط ومركّز وفوري، عمل الأيديولوجية على أنسجة التجربة الحية للمجتمعات الطبقية، إنها صيغة من صيغ المقاربة أكثر فورية من تلك التي يمتلكها العلم، وأكثر ترابطا وتماسكا من تلك المتوفرة بصورة طبيعية في الحياة اليومية نفسها."[12] فيسعى النقد الماركسي الموجه للثقافة إلى تفسير ما ظهر وما بطن من ردود الفعل الرمزية للثقافة المادية والقيم الأيديولوجية المتوارية خلف النزعات العرقية والطبقية والسياسية والاجتماعية، واختبار مدى وعي الجماهير بهذه المضمرات، الأيديولوجية التي تُنتج ـ حسب الماركسية ـ وعيا زائفا في العامة.

7 - الإمبريالية الثقافية: Cultural Imperialism

يستخدم مصطلح "الإمبريالية الثقافية" العديد من النقاد الماركسيين، وتعني سيطرة المؤسسة الثقافية بتضييق الخناق على كل ثقافة تخالفها، فتنشر قيمها، وهذا ما تفعله البرجوازية حين تنشر أيديولوجيتها فيتشرّبها الناس بما تحمله من معتقدات

وتوجهات اقتصادية وسياسية، حتى يسهل استغلال الناس والشعوب، ويعطي "أرثر" مثالا على ذلك بما قام به الماركسيان أرماند ماتلرت **armand mattelert** وإريال دورفمان **ariel dorfman** في كتابهما الذي يحمل عنوان" كيف تقرأ دونالد دوك،(الأديولوجية الإمبرالية في كوميديا ديزني(1991) حيث أكّدا أن كوميديا ديزني لاند ما هي إلا أدوات لأديولوجية الولايات المتحدة للهيمنة الثقافية، أي أنها تنشر ثقافتها في صورة كوميدية، لإقناع الشعوب بأفضليتها وإظهار من يعارضها في صورة خاطئة، ومثل هذه الثقافات التي تمارس الاستعمار الثقافي كثيرٌ، منها الثقافة الأوروبية التي تغزو العالم الثالث، وتنشر فيه ثقافتها بكيفية تبيّن أنها الأفضل على الإطلاق.

8 ـ الهيمنة:Hegmony

لا يمكن الحديث عن الماركسية دون الحديث عن واحد من أهم أعلامها، وهو الإيطالي أنطونيو جرامشي **Antonio Gramsci** (1891م. 1937م) وهو الذي صك مصطلح" الهيمنة" بمعناه الفلسفي الثقافي الذي أضفاه عليه ، ففي حين يعني مصطلح "الهيمنة" في مفهومه القديم كل أشكال السيطرة والاستبداد السياسي خاصة ما تعلق منها بالدول ذات السيادة، فإن المفهوم الجديد عند "جرامشي" يعني به السيطرة الثقافية والنفسية، كوسيلة للإبقاء على الحكم في مجتمع رأسمالي؛ مستغربا القدرة العجيبة التي تمتلكها الثقافة المهيمنة في اقناع هؤلاء الذين تستغلهم بأن موقفهم هو موقف طبيعي، وبهذا" حوّلت الماركسية الإيطالية أولوياتها من الانتاج الاقتصادي إلى المجالات الثقافية، لقد صار نقد الثقافة القوة التي تستطيع أن تُحدث تغييرا سياسيا واجتماعيا ملموسا،[وكانت] القضايا المتعلقة بدور المثقف تشغل مكانا أساسيا في هموم جرامشي وبرنامجه السياسي."[13] الذي سعى من خلاله إلى كسر نخبوية المعرفة، بإنتاج معرفة جديدة تغيب فيه الفروق بين الثقافة العالية(البرجوازية) والثقافة الشعبية، هذه الأخيرة التي تخضع للثقافة المهيمنة (البرجوازية) التي تسعى لدعم نفسها عبر تأييد الثقافة الشعبية لها، فوجد جرامشي أن هيمنة" الرأسمالية" لم تتأتّ بسلطة القوة والمال فحسب، بل ـ وهو الأهم ـ بعامل القبول الذي بثته الطبقة الحاكمة في عقول الطبقة العاملة (عامة الناس) لذلك يرى جرامشي بوجوب انبثاق ثقافة بديلة عند المستضعفين مشحونة بمفاهيم ثائرة

المنارة للاستشارات

وثقافة مناهضة، من أجل مقاومة تلك الثقافة المهيمنة على المجتمع، تكون هذه الثورة باستخدام منهجية" **الحرب الناعمة**" وهي الحرب التي تسبق الحرب العسكرية، وتَستخدم وسائل الإعلام، والمؤسسات الثقافية الفكرية، والفن والأدب...إلخ، ولا يستطيع القيام بهذه الثورة إلا من لم يخضع لتلك الثقافة المهيمنة، أو أولئك الذين طُوِّعوا بدرجة غير كاملة، وبإمكانهم أن يروا الأشياء على حقيقتها." أما أولئك الناس الذين طُوِّعوا تماما اجتماعيا، فهم من ثم لا يرون الأشياء على حقيقتها."[14] فلا يستطيعون القيام بمثل هذه الثورة.

إنّ ظهور ثقافة بديلة مناهضة للثقافة الحاكمة، تجعل الجماهير تتحكم في توزيع السلطة بإرادتها، وهذا ما عبر عنه جرامشي بمفهوم" **المجتمع المدني**" الذي هو فضاء للهيمنة الثقافية التوجيهية للسلطة الرمزية، تكتسب هذه الثقافة شرعيتها لا من قوتها وتسلّطها وإنما من احتضان كتل المجتمع المتجانسة لها، فتكتسي هذه الهيمنة معنى القيادة الشرعية، تهدف إلى القضاء على الرأسمالية وإحلال الاشتراكية، ويضطلع بهذه المهمة المثقفون، وهم عند جرامشي لابد أن يكونوا بالتحديد من" موظفي البنى الفوقية، فيديروا الذوق والنظام القانوني، والكنيسة، والتعليم، والجوانب التقنية والعلمية في الإنتاج، فالمثقفون هم مديرون، وحرفيون، هم" نواب الطبقة المهيمنة الذين يمارسون الوظائف التابعة للهيمنة الاجتماعية والحكم السياسي."[15] ومن هنا يفرّق جرامشي بين المثقفين من خلال وظائفهم، خاصة الحيوية منها التي ذكرها، وما عداهم فهم من عامة الناس، كما يقسم هؤلاء المثقفين إلى **"مثقفين عضويين"** ويظهرون داخل الطبقات الاجتماعية عدا الطبقة الفلاحية، لديهم مشروع ثقافي إصلاحي، يهدف إلى تحقيق الهيمنة الثقافية للطبقة العاملة، فـ**"المثقف العضوي"** هو الذي تقع على عاتقه مسؤولية تغيير الأوضاع، والصنف الثاني هو "المثقفون التقليديون" وهم الكهنة والباحثون والعلماء ممن يدّعون استقلالا للميدان الاجتماعي ليغطوا على افتقارهم له.[16]

9 ـ **إعادة الانتاج: Reproduction**

إن "الفن" في ظل الرأسمالية يصبح مجرد سلعة، ومن أجل الحفاظ على كيانه واستقلاليته" الفن من أجل الفن" لابد من فصله عن التقنيات الجديدة، وعن إعادة الإنتاج الذي تعتمد عليه وسائل الإعلام الجماهيرية، لاستخراج الصور وطبع الصحف

والمجلات والكتب، وقد كتب" بنيامين" **W.Benjamin** مقالة له بعنوان" الأعمال الفنية في عصر إعادة الانتاج" يؤكد فيها أن " العمل الأدبي أو الفني يفقد وضعه التقليدي(أو شذاه) تحت تأثير الإنتاج الصناعي الآلي، فينقل الفن بذلك من نطاق القداسة إلى نطاق السياسة، ويتم حشد جمهور جديد مشتت الانتباه لكنّه قادر على النقد، وتوجيهه نحو ديمقراطية أعظم من خلال الفنون الجماهيرية الجديدة."[17]

فإعادة الإنتاج تُفقد أصالة وفرادة الأعمال الفنية، لأنّه غالبا ما يرتبط الفن أو الأدب الأصل بطقوس قد تكون مقدّسة، حيث تبقى بينها وبين الناس مسافات بعيدة، وفي ظل هذا الاستنساخ" لم يعد يهتم الناس بأن تكون ثمة مسافة مع الأشياء، وقبلوا إعادة الإنتاج، لشيء ما بوصفه مكافئا له، وبوصفه شيئا مستهلكا لا مقدسا، بالإضافة إلى أنّ النّاس أصبحت تستجيب للأعمال الفنّية على أسس جمعية لا فردية، وبصفة عامة كجزء من التكثيف الجمعي المستتر، أو التعبئة العامّة لقبول الواقع."[18] وهكذا تكون هذه هي المرة الأولى في التاريخ التي يتحرر فيها العمل الفني من اعتماده أو تطفّله على الطقوس (الدينية)، وبذلك لا يكون الفن من أجل الفن، ولا من أجل الطقوس، وإنما من أجل ممارسة أهم ـ حسب الماركسية ـ وهي السياسة؛ فيجب على الكاتب" أن يضفي على أسلوبه الفني صبغة سياسية، لكي يوظّفه توظيفا سياسيا، في إطار علاقات إنتاج معاصرة."[19] فأصبحت وظيفة الفنون مرتبطة بالاعتبارات الاقتصادية والقضايا السياسية، وأصبح الفنان يتحرّى القبول الاجتماعي ويتحرّى أذواق الجماهير، ولا ينطلق من مجرد رؤية داخلية، وأصبح إنتاجه يوظف أيديولوجيا، كما يوظف الفلم السينمائي كأداة في المعركة السياسية الأيديولوجية، وليس بتاتا مجرد وسيلة للتسلية.

10 ـ الثقافات السياسية:Political Cultures

يشير مفهوم "الثقافات السياسية" إلى التأثير المتبادل بين السياسة والثقافة، فكل مجال منهما يؤثر ويتأثر بالآخر، فتشتمل الثقافة السياسية على القيم والمعتقدات، والأفكار والممارسات التي وجدت في الجماعات، التي تلعب دورا في التنظيم السياسي للمجتمعات."[20] وتتشكل هذه الثقافة بناء على الخبرات التاريخية للمجتمعات والنظام عموما، ومن ناحية أخرى من الخبرات الشخصية لهؤلاء الأفراد الذين سيصبحون نخبة المجتمع؛ ومن ثمة

يمثلون الجهاز السلطوي (الحكومي) ويصرّح "أرثر" بالسبب الحقيقي من وراء دراسة الثقافات السياسية فيقول:" نحن ندرس الثقافة السياسية لأننا نفترض أنها تعيننا على فهم طريقة الناس في صنع الاختيارات التي يباشرونها، في دنيا السياسة، وكذلك تعيننا على فهم الكيفية التي تعمل بها الأنظمة السياسية المختلفة."[21] فتهتم هذه الدراسة بالمعتقدات التي تدفع الناس إلى اختيار توجّه سياسي معين من جهة، وبطريقة أداء المؤسسة السياسية، التي تجذب إليها هؤلاء الناس، وهذه المعتقدات هي غالبا ترتبط بالجماعات التي ينتمون إليها، فهي لا تظهر هكذا فجأة من العدم، وإنما هي نتيجة تراكمات من الخبرات المعرفية، وتوجد في المجتمعات الديمقراطية أربعة انماط من الثقافة السياسية:

أ. **جماعة النخبة: elitist**: تؤمن هذه الجماعات بالتنظيم التدريجي، ويتمتعون بروح المسؤولية اتجاه من هم دونهم.

ب ـ **دعاة النزعة الفردية: Individualists** : ويؤمنون بالمنافسة الحرة ويطالبون الحكومة بفسح المجال لهذه المنافسة وحماية الملكية الخاصة

ج ـ **دعاة المساواة: Egalitarians** : ينطلقون من انتقادهم لكل الأنماط الأخرى، باعتبار أن لكل فرد حاجات عامة، والماركسيون ينتمون لهذا النمط باعتبارهم من أشد المنادين بالمساواة.

د. **القَدَريون: Fatalists**: ويؤمنون بالحظ والقَدَر إلا أنهم غير سياسيين في الأساس.

وتؤدي هذه الأنماط الأربعة دورا في السياسة؛ فـ" معرفة أيّ الجماعات التي ينتمي إليها الفرد، وأيّها التي لا ينتمي إليها، تعين الناس بقدر من المعلومات ضئيل نسبيا من أجل ترقية وتطوير أولويات التعامل، وعمل العديد من القرارات السياسية المختلفة، وكذلك تؤثر الثقافة السياسية على ما يقرأه الناس وما يشاهدونه على التلفزيون."[22] فالأفراد يختارون من النصوص ما يدعم أفكارهم وتوجهاتهم، ويتجنبون من النصوص ما يناقض مذاهبهم لما فيها من تنافر معهم وعدم انسجام، وتكمن الأهمية البالغة في الثقافات السياسية في معرفة كيفية تشكل الثقافات وتأثيرها في السياسة.

المنارة للاستشارات

وختاما يمكن القول إنّ ما يمكن ملاحظته على التوجه الماركسي هو أنه قد فشل سياسيا واقتصاديا بتبني المجتمعات الحديثة المتطورة للنظام الرأسمالي، إلا أنّ المجال الثقافي مازال يجذب العديد من نقاد الثقافة خاصة في الزمن الراهن، في زمن النقد الثقافي، وإن تغطوا بغطاء المابعد ماركسي.

الهوامش:

[1] فيصل الأحمر ونبيل داودة: الموسوعة الأدبية، ج1، د/ط، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر،2008، ص132.

[2] أرثر إيزابرجر: النقد الثقافي،، تمهيد مبدئي للمفاهيم الرئيسية، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر،2003 ص81.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص81.

[4] ينظر: أرثر إيزابرجر: النقد الثقافي ، ص 82_113.

[5] نقلا عن: المرجع نفسه، ص82.

[6] المرجع نفسه، ص82

[7] أرثر إيزابرجر: النقد الثقافي ، ص84

[8] المرجع نفسه ، ص87.

[9] أرثر إيزابرجر: النقد الثقافي ، ص88.

[10] أرثر إيزابرجر: النقد الثقافي ، ص101.

[11] نبيل راغب: موسوعة النظريات الأدبية، ج1، د/ط، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر،2008. ص80

[12] رولان بارت وآخرون: النقد والمجتمع، تر: فخري صالح، ط1، دار كنعان، دمشق، سوريا، 2004، ص180

[13] ريناته هولب: الحياة الثقافية الإيطالية بعد الحرب العالمية الثانية، من الماركسية إلى الدراسات الثقافية، تر: شعبان مكاوى: موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، ج9، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة مصر. 2005.ص215. 216

[14] أرثر أيزابرجر: النقد الثقافي ص110

[15] طوني بينيت وآخرون: مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، ط1، المنظمة العربية للترجمة بيروت، لبنان 2010، ص.587.

[16] ينظر: المرجع نفسه، ص588.

المنارة للاستشارات

[17] نقلا عن: بيتر بروكر: الحداثة وما بعد الحداثة: تر: عبد الواهب علوب، ط1، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، 1995، ص82.

[18] أرثر أيزابرجر: النقد الثقافي، ص111.

[19] بيتر بروكر: الحداثة وما بعد الحداثة، ص82.

[20] أرثر أيزابرجر: النقد الثقافي، ص113.

[21] المرجع نفسه، ص114.

[22] أرثر إيزابرجر: النقد الثقافي ، ص115

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊

المنارة للاستشارات